الاحتلال العثماني لليبيا :

تعرض الشمال الإفريقي لموجة من الهجوم النصراني تمثل في البرتغاليين والأسبان والإيطاليين وجماعة فرسان القديس يوحنا. وقد احتل الأسبان في الفترة من ١٥٠٥– ١٥١١م مرسى الكبير، ووهران، وبجاية، وطرابلس الغرب، وجربة. وظل الأسبان يركزون احتلالهم على الساحل دون التوغل في داخل إفريقيا بسبب الصعوبات وعنف المقاومة المحلية التي كانت تواجههم. ولانشغالهم في حروب أخرى في الجبهة الأوروبية. وفي مراحل لاحقة صعد الضغط النصراني على المسلمين في شمالي إفريقيا مما جعلهم يطلبون العون من البحارة الأتراك الذين يقودهم البحار العثماني المسلم عروج باشا، لإنقاذهم. وتمكن هؤلاء الأتراك بمساعدة القوى المسلمة المحلية من طرد الأسبان، وأخذ الأتراك يشكلون حكومات محلية صغيرة اعترفت بها الدولة العثمانية بشكل تدريجي. ولكن هذه الحكومات لم تكن حكومات مستقرة، فقد واجهت اضطرابات محلية، كما أنها لم تكن حكومات منظمة خاصة في المجالات الإدارية، وإنما ظلّت تستند على القوة العسكرية والجهاد البحري ضد سفن النصارى وبحارتهم الذين واصلوا هجومهم على المناطق الإسلامية في شمال إفريقيا، خاصة بعد خروج المسلمين من الأندلس.

وعلى الرغم من أن تبعيّة الدويلات القائمة في مناطق شمالي إفريقيا للدولة العثمانية كانت اسمية، إلا أن تلك الحكومات تقوّت بفضل احتمائها

وتبعيتها الاسمية للعثمانيين الذين كانوا أسياد الموقف الدوليّ آنذاك، وقد كانت المواجهات البحرية بين تلك الدويلات وبين الغزاة الأسبان فاتحة الطريق أمام وجود عثماني مركز في شمالي إفريقيا. وبالفعل فإن خير الدين بربروسا الذي خلف أخاه عروج اتصل بالسلطان العثماني سليم الأول وأعلن تبعيته له، فوافق السلطان العثماني على ذلك وعينه برتبة بيلزبي (بك البكوات)، ولقبه بلقب باشا، وأرسل إليه ألفي جندي انكشاري منظم وأربعة آلاف آخرين متطوعين، ومعهم مؤن وعتاد وغير ذلك من مستلزمات. وفي عهد السطان العثماني سليمان القانوني، أقرَّ السلطان خير الدين في منصبه، وأعطاه رتبة قبطان باشا على الأسطول العثماني في البحر الأبيض المتوسط، واستدعاه إلى إسطنبول من أجل التخطيط للقيام بحملات بحرية ضد أسبانيا في عهد شارل الخامس.

ولما وطد العثمانيون وجودهم في تونس والجزائر ضموا إلى حكمهم مدينة طرابلس الغرب بعد أن كان سكانها قد تخلصوا من الحكم الحفصي وشكلوا حكومة خاصة بهم، ولكنهم تعرضوا لهجوم أسباني احتل بلادهم، لكن القائد طرغوت تمكن من استعادتها من الأسبان وعينه العثمانيون على ولاية طرابلس الغرب، وأعطوه لقب بيلزبي (بك البكوات)، ثم أخذ طرغوت يمد النفوذ العثماني تدريجيًا إلى مناطق الداخل. وخلف علج علي طرغوت في حكم طرابلس والداخل، وتمكن من فرض الأمن والهدوء في المنطقة. ثم خلفه جعفر على حكم طرابلس، واستطاع جعفر أن يحتل فزان ومنطقتها عام ١٥٧٧م. وكانت برقة وفزان تحت تأثير التبعية الاسمية للعثمانيين في

مصر، ولكنهما ضمتا أخيرًا إلى الحكم العثماني في طرابلس الغرب، وهكذا بدأت تظهر خريطة ليبيا الموحدة في العهد العثماني، المؤلفة من: ولاية طرابلس، وبرقة، وفزان. واستطاع الحكم العثماني في ليبيا أن يثبت السيادة على الأرض الليبية المتحدة، وظل الوجود العثماني يتحدى القوى الأوروبية القائمة على الساحل الآخر من البحر الأبيض المتوسط ردحًا من الزمن.

حكم ليبيا أثناء العهد العثماني عدد كبير من الولاة العثمانيين. وقد تقلَّص النفوذ العثماني في البلاد الليبية عندما تسلمت أسرة أحمد باشا القرمانلي الحكم عام ١٧١١م في طرابلس الغرب، وظلت تحكم منطقة ليبيا مدة قرن وربع القرن، ولم يبق للعثمانيين في ليبيا غير الولاء الاسمي فقط، وظل الأمر كذلك حتى ضعف حكم أسرة القرمانلي، فزادت الضائقة الاقتصادية في ليبيا، وأصبحت البلاد عرضة للأطماع الأوروبية من فرنسيين وانكليز، وأمريكيين. وكثرت في ليبيا الثورات في أواخر عهد أسرة القرمانلي، ممّا أدى بالعثمانيين إلى إرسال حملة عسكرية تحت قيادة نجيب باشا توجهت إلى طرابلس في عام ١٨٣٥م، وألقت القبض على آخر حكام أسرة القرمانلي علي باشا، وبذلك أنهى العثمانيون حكم هذه الأسرة. وأعاد العثمانيون سيادتهم الفعلية على ليبيا، ولم يكن الحكم العثماني المباشر على ليبيا بحال من الأحوال أفضل من حكم أسرة القرمانلي. بل كان حكمًا غير مستقر تعاقب عليه الكثير من الولاة بحيث كان معدّل ولاية الواحد منهم في حدود العالم الواحد أو أكثر في بعض الأحيان.

ومع أن العثمانيين طبقوا في ليبيا نظام الولايات: ولاية طرابلس الغرب وولاية برقة، وولاية فزان، إلاّ أن وجودهم في المنطقة كان اسميًا فقط. وأخذت ليبيا كغيرها من الولايات العثمانية تُهدَّد من قبل الفرنسيين، خاصة بعد احتلالهم للجزائر عام ١٨٣٠م، وفرض الفرنسيون حمايتهم الاستعمارية على تونس عام ١٨٨١م. وبناءً عليه رأت الدولة العثمانية أن تعزز وجودها في ليبيا، فزادت من قوتها العسكرية في المنطقة. وتمسك الليبيون بحكم الدولة العثمانية على الرغم من ضعفه، لأنهم شعروا أنها الدولة الإسلامية التي يمكن أن تدافع عنهم وتحميهم ضد هجوم الفرنسيين الذين احتلوا تشاد وبدأوا يهددون ليبيا.

السنوسية في ليبيا :

هاجر محمد بن علي السنوسي المولود ببلدة مستغانم في الجزائر عام ١٧٨٧م، إلى مقاطعة برقة، ومكث في برقة، وأسس فيها الزاوية البيضاء في منطقة الجبل الأخضر. ثم توجه بعد ذلك إلى جغبوب، وأقام فيها، وتوفي هناك عام ١٨٥٩م. وقد دعى محمد بن علي السنوسي لإصلاح الناس، وذلك بالرجوع إلى تعاليم الإسلام، وكان تنظيمه لأتباعه يقوم في المقام الأول على أساس صوفيّ، ومع أن حركته كانت دينية في جذورها إلاّ أنها طبعت بالمظهر السياسي. اجتهد السنوسي في إقامة الزوايا الصوفية لأتباعه في الواحات البعيدة عن المنطقة الساحلية مثل فزان وكانم وجغبوب وغيرها، وأصبحت تلك الزوايا المنتشرة في ربوع البلاد الجنوبية

مراكز تعليم ديني صوفي، ومراكز عبادة وتدريب على أعمال الجهاد ضد المحتلين الأجانب. فلقد كانت السنوسية تهدف إلى إيقاظ الهمم الإسلامية وتحفيزها لمواجهة الفرنسيين وغيرهم من الذين يطمعون في السيطرة على شمالي إفريقيا. ومن هنا برزت فكرة ضرورة التمسك بالروابط الدينية، وفكرة الوحدة الإسلامية، والجامعة الإسلامية كسبيل لمقاومة العدوان الاستعماري على الوطن.

وعلى هذا الأساس فإن السنوسية دعوة وحركة ارتبطت إلى حد بعيد بمقاومة الغزو الخارجي الأجنبي. وهكذا كان الهدف الأول للسنوسية مقارعة الاستعمار الأوروبي الطامع بأرض ليبيا. وقد ظلت الحركة السنوسية تتحمل مسؤولية التنظيم والتدريب والإعداد للسكان كي يتحملوا مسؤولية عبء الجهاد ضد الاستعمار.